الانتماء و انـهيارات الفضاء المكاني بين الفقد و حميمية الفضاء البديل

رواية ما بعد أوسلو " الهروب" ل سليم دبور

أستاذ مساعد أ: نعيمة سعيدي

جامعة 20أوت 1955 سكيكدة ، الجزائر

كلية الآداب واللغات

Sumarry

the loss of the first graphy causes a rupture of the affiliation of the person who imposed by other hostile spaces: the barriers, the prison and the control point, or alternative: the camp, the experience of the Palestinian man after Oslo is a huge excuse for what remains of the homeland, the world of camps and the new generation of camps that establish the tragedy of the present moment in the tragedy of madness, fear and the crisis of the journey to the places and stability in the fragile alternative place, this article revealed the affiliation and the collapse of the space spatial between the loss and the intimacy of the space alternative , romon after Oslo, the escape of salim dabour

Rusum:

la perte de la première géographique provoque une rupture de l’affiliation de la personne qui imposée par d’autres espaces spatial, hostile : les barrières , la prison et les points de contrôle, ou l’alternative :le camp, l’expérience de l homme palestinien après Oslo est un énorme exemple de ce qui reste de la patrie, le monde des camps et la nouvelle génération des camps qui établissent la tragédie du moment présente dans la tragedie de la folie ,la peur et la crise du voyage dans les lieux et la stabilité dans la place alternative fragile , cet article révélé l’affiliation et l’effondrement de l espace spatial entre la perte et l’intimité de l espace alternatif roman après OSLO, l’évasion de Salim Dabour .

الملخص:

يسبب ضياع الجغرافيا الأولى " الوطن " شرخا في انتماء الإنسان، مما يفرض عليه فضاءات مكانية أخرى معادية: الحواجز ، السجن ، و نقاط التفتيش " أو بديلة " المخيم "، إذ تشكل تجربة الإنسان الفلسطيني بعد " أوسلو" نموذجا ضخما لما تبقى من الوطن، لحياة اللجوء، عالم المخيمات الثابتة و جيل المخيمات الجديد و التي تؤسس لمأساة اللحظة الراهنة ضمن تراجيديا الجنون ، الخوف وأزمة الرحلة في الأمكنة والاستقرار في مكان بديل هش ، يكشف هذا المقال عن الانتماء وانهيارات الفضاء المكاني بين الفقد وحميمية الفضاء البديل، رواية ما بعد أوسلو " الهروب " ل "سليم دبور.

يبدو أن فكرة المنفى ـ كعارض شبه دائم ـ قد ألقت بكل أبعادها على تجربة الإنسان الفلسطيني الذي وجد نفسه فجأة مشتتا بين اللجوء و النفي، الهجرة و الاغتراب و كلها تحمل حقيقة الاستبعاد ، إن العيش على تخوم المجتمعات مهما كان الانسجام أو التقبل من الآخر فإن شعور التوق إلى الذات يظل حاضرا و البحث عنها يبقى متواصلا ، فالفهم الحقيقي لكينونة "لاجئ" تفرض بالضرورة هاجس التهجير و الاقتلاع المتجدد ، كما تفرض عقدة الارتياب من الآخر الذي يحمل هوية لا تشبه هويته و لا تتفق معها في كثير من مرجعياتها ، فاللاجئ في الغالب كان قد سيج هويته فهي غير مانحة إحساس الانتماء إلى هذا

المجتمع الجديد، شيء يشبه الجينات الروحية تفرض إحساس الاغتراب بسبب اختزال الهوية في مكون واحد على الأرجح أساسي هو "الوطن ".

يكتسب المكان ضمن السرد الروائي الفلسطيني خصوصية واضحة فهو يقع بين الغياب أو العدم الجغرافي وبين الحضور أو الوجود العاطفي، ليمنح المكان تأرجحا دائما، مفقدا بذلك خاصية اتزان المكان وصلابته ليغدو رخوا وهشا تماما كما أرض الآخر الغريبة ، فالمكان الفلسطيني يبدو كما أنه فقد ثباته فارتخى كمنفى (مخيمات ، حواجز، نقاط تفتيش، سجون وزنازين ...) إن خاصية الحضور والغياب تجعل من المكان حاملا في ذاته ثنائية ضدية تلقي بتبعاتها على الإنسان الفلسطيني الذي يسعى في حفاظه على المكان معتمدا الذاكرة التخييلية من جهة ومواجهة الآخر من جهة أخرى ، كما تفرض الحوادث التي يشهدها المكان جملة من المسميات الجديدة على المكان : المكان المعادي ، المكان البديل ، المخيم ، الوطن المحتمل ، ما تبقي من الوطن ، والبيت الهش ... ولعل تسمية المنفى تختصر كل هذه المسميات .

يصادف أبناء هذه الشعوب خيبة وإحباطا وإهانة ، فكيف لا تكون شخصيتهم مجروحة في الصميم ؟ كيف لا تكون الهوية مهددة ؟ كيف لا يتكون لديهم الإحساس بأنهم يعيشون في عالم يملكه الآخرون خاضع لقوانينهم ، عالم يشعر فيه المرء يتيما و غريبا و منبوذا؟ كيف لا يتولد لدى بعضهم الانطباع بأنهم خسروا كل شيء ، و بأنهم لا يملكون بعد اليوم ما يخسرون و يتمنون على غرار شمشون أن ينهار الهيكل عليهم و على أعدائهم "1.

ومهما تعددت التسميات و اختلفت يظل لون المنفى الرمادي غالبا عليها و المنفى في التاريخ الإنساني فكرة قديمة قامت أساسا على ما يبدو "عقابا" غايته الإبعاد " منطقة عدم الانتماء المحفوفة بالمخاطر تقع بعد الحد الفاصل بين"نا" وبين " الخارجيين " مباشرة وهي المنطقة التي كان يطرد إليها البشر في زمن بدائي والمنطقة التي تتسكع فيها في الحقبة الحديثة تجمعات ضخمة من البشر لاجئين ومهجرين "2 ولعل الأمر يختلف مع التجربة الفلسطينية ، ففي جزء كبير من الشعب داخل فلسطين أو خارجها لم يبن أساسا على فكرة العقاب لأجل الإبعاد بل أسس على فكرة "الإزاحة " من أجل السيطرة التامة على المكان ، كان الإحساس مقيتا وكريها جدا وبعد تحقق حلم السيطرة على الأرض تأكدت حتمية المنفى ، التشتيت والتذويب في الكيانات الأخرى ، تشتت الفلسطينيون وعبروا عن وجع المنفى وهاجس الانتماء كل بطريقته، ففي مجال الأدب وجب " الاحتفاء بأكثر الأنواع احتضانا لهذا الوجع، جنس الرواية كان الأقدر" شكلت القضية هاجس من هواجس الرواية الفلسطينية التي صورت الفلسطيني مستهدفا ، مضطهدا ، جاء إلى بلاد الله في زورق أو غادرها في سفينة....كثر سخط الفلسطينيين من هذا الوضع"3. ومسميات أدب المنفى أو أدب الشتات كلها تجمع تحت نمط واحد على الأغلب يصلح أن نسميه" أدب الضحية" الذي يبرز فكر المبدعين ممن خرجوا من الجغرافيا الأولى فكر يرتكز أساسا على الصدمة، المكان الأول والمكان المنفى، التهميش، طريقه التعامل مع الذاكرة، التصادم مع الآخر أم التصالح معه؟ الإحساس بالهزيمة و التنكر للذات ، الجماعات الجريحة والهروب " الهروب" الذي هو عنوان الرواية التي اخترناها للدراسة فهو النواة المركزية التي تختصر فكر أدب الضحية " الهروب إلى الأمام حاله نصادفها عند فلسطيني الشتات"4

رؤية تنورية للرواية:

" الهروب " لصاحبها " سليم دبور كاتب روائي ،سنيمائي ، مسرحي وتلفزيوني فلسطيني ولد في مخيم الجلزون عام 1970،حصل على شهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة بير الزيت وأكمل تعليمه العالي في هولندا ، تقع في حوالي 451 صفحة.

الهروب امتناع عن المواجهة غير أن الهروب في هذه الرواية كان امتناعا ومواجهة في آن ، فالرواية من النوع الصادم و المعرى تماما من الأحلام ، ممزوجة بكثير من التراجيديا و السخرية من حيث تشخيصها لمأساة الإنسان المعاصر ضمن أوجهها العديدة : مواجهة سلطة الآخر، مواجهه" الفقد" " الأسر" "الجنون" "الخيبة" و"خيبات الانتظار الطويل"، إنها نص يعبر عن كل أوجه المأساة المختلفة والأعطاب التي تصيب الجسد والنفس والعقل، و الرواية تحكي مسيرة "صابر" الذي فقد عائلته فجأة فأصابته حالة انهيار شديد أتهم من خلالها بلوثة أصابت دماغه لتبدأ رحلة التنقل بين الأمكنة بدءا من مصحة المجانين، السجن، القرية، المغارة..... وهي محطات مكانية ضاجة بالألم والتوتر والأحداث الرهيبة ، يرافقه في بعض معابره المكانية ، صديقه "جرعوش "الذي كان مجنونا " ظاهرا ". كما تحكي الرواية أزمة الإنسان الذي يقضي عمره بين المخيمات و تحت الحصار نتيجة قرارات السياسة التي عصفت بنفسيته لتحيله إلى مجنون مؤقتا أو مدع للجنون ، أزمة الذات في مواجهتها لأزمة الاقتلاع من "البيت الأول" المأوى الطبيعي، والتي تفرض علاقة خاصة تجمع الذات بهذا المكان، علاقة تحمل تضادا واضحا فلم يعد المكان حميميا كما كان بل قد يتشكل فضاء كما يريده الآخر فضاء معاديا، أو يتشكل وفق ما يفرضه الواقع "مكانا بديلا" قد يختصر علاقة الإنسان به ضمن إطار "البيت الهش"، عموما تمتلئ الرواية بتعدد المكان الذي تحدده نفسية شخوص الرواية لتتنوع موضوعاتية تيمة المكان كالآتي:

ا ـ المكان المعادي :

1 ـ غياب الوطن و حضور الحاجز :

تنفي الحواجز انتماء الإنسان إلى مرجعياته الجغرافية والعائلية ، إذ تحيله إلى بطاقة هوية يحددها الآخر بدقة صارمة لتجعل من الفلسطيني تحت رحمة اليهودي الذي يسعى دوما إلى تضييق المكان قدر المستطاع ، ذلك التضييق الذي يتيح في كل مرة فرصه التنازل عن "ما تبقى من الوطن" والتنازل عن حلم العودة إلى البيت "ولأن المكان فعل وجود وفعل وعي الهوية ، فإن الآخر يعمل على اكتساح مكان الأنا سعيا إلى حرمانه من مبرر الوجود وزعزعة لوعي الهوية من جهة و الانغراس فيه من جهة ثانية "5. حيث يقف الحاجز الذي كان نقطة من الوطن مثل مكان آخر: مكان صارم وقاس مفرغ من أي تعاطف والذي يبادله الفلسطيني هذا الشعور أيضا ، الإهانات ، التفتيشات وقساوة الانتظار والأكثر خيبة عدم المرور لغياب بطاقة الهوية أو أنها لا تمكن من العبور، لا يمكن المرور إلى البيت الذي ما عاد بيتا، لماذا يضغط الحاجز بقوة و بقسوة على وتر الانتماء ؟ لماذا ينهي في كل المرات تقريبا فرحه النظر إلى ما ضاع من الوطن؟ إن الحاجز لا يعبأ بتلك اللحظة وقسوتها لحظه الابتعاد عن الوطن عندما يقترب منه أو كما لخصها درويش: أنأى عن زماني حين أدنو من تضاريس المكان ، كما تتفرع تيمة الحاجز بما يسمى بـ: موضوعاتية الحاجز إلى:

أ الحاجز نقطة التفتيش:

والتي يقدرها الآخر بدقة و بقسوة و بإيديولوجيا صارمة التخطيط محددة الأهداف أيضا ، إن نقطة التفتيش نقطة دفاعيه كما تبدو ظاهرا هدفها نسف التواصل مع التاريخ والمكان والذكريات" بين مخيم قلنديا الأبي ومخيم الجلزون الصامد مسافة قصيرة لا

تستغرق أكثر من ساعة، إلا أن المحتل جعلها تبعد كما تبعد باريس عن رام الله "6 وغدا الفلسطيني أثناء ساعات الانتظار الطويلة كتلة من الزمن المترقب ، وجها لوجه أمام نقطه التفتيش كتله " المكان الصادمة " وأمام الآخر " كتلة الرفض" " أنزلتنا السيارة قبل الحواجز الترابية و المكعبات الإسمنتية المنتصبة في شارع سردا الطريق المحظورة على السيارات ، تتكدس السيارات على طرفي المنطقة المحظورة ، أما المنطقة المحظورة فتراها تعج بالجنود المتمرين وظيفتهم تضييق الخناق على الطلبة المتوجهين إلى جامعة بير الزيت و القرويين و أهل الشمال و المخيم كل من يقترب للمرور من ذلك الحاجز اللعين .... يوقفون الجميع لساعات طويلة .... يفتشون كل شيء بطاقاتهم الشخصية حقائبهم وأجسادهم استشهد ثلاثة برصاصهم .... قتل اثنان بحوادث اصطدام بين المركبات ، ... توفي رجل جراء نوبة قلبية ، .... وولد طفلان خلف المكعبات الإسمنتية وضرب عدد كبير من الشبان الذين قاموا بتظاهرات سبع مرات للتخلص من ذلك الحاجز الخانق"7 .

ب - الحاجز وحظر التجول:

يتكرر حظر التجول في الرواية بصفة خاصة في مكان غالبا ما يكون المخيم والقرية باعتبارهما أكثر الفضاءات المكانية حضورا بينما زمن الحظر غالبا ما يكون مفاجئا "استيقظنا وقت الظهيرة على صوت السماعات تنادي بفرض حظر التجوال" 8 توقيت فرض التجول لا ينسجم تماما وقت الظهيرة وقت انشغاله الناس ووقت راحتهم ، يناقض الزمن نفسه وينقسم إلى زمن إلى مضاد ، هل يتحكم الآخر بالزمن الفلسطيني بعد أن أحكم قبضته على المكان ؟ أم أن تناقض الزمن إنما هو سببه عدم ميله إلى مجموعة معينة بل يتماشى مع من يستثمره سواء سلبا أو إيجابا ؟ وكأن الزمن يرفض أن يهدر ، لابد من ملئه بطاقة وبحدث وإلا يصير مناقضا تماما، كل هذه الفوضى "المصالح " التي تتحكم في علاقات المجموعات البشرية التي تهدف القوية(اليهود) "المجموعة الثانية "إلى إفقاد المجموعة الضعيفة (الفلسطنيين) "المجموعة الأولى" هويات انتماءها والتي غالبا ما تكون من الجماعات الجريحة التي اختارت فلسفة حياة جديدة ليست تفرضها المجموعة القوية وإنما تفرضها إرادتها الخاصة التي تتأسس على مرجعيات وطنية وتاريخية ونفسية .

2 - السجن:

مكان السجن شكل آخر من أشكال المكان المعادي، إنه يختصر الإنسان ضمن إطار جغرافي غير إنساني وغير حر ، وفي الرواية برز السجن أولا في صورة معتقل ثم سجن فزنزانة و كانت فضاءات كلها للتعذيب المتواصل المسلط على الجسد بصوره تامة " ثلاثة أسندوا جسدي واثنان شرعا يصبغانه بلون نازيتهم لكمات، ركلات ، صفعات كانت لغة تفاهمهم مع جسدي.ما بهم؟ كلهم يريدون ذبح جسدي؟"9 ويتواصل التعذيب لكنه لا يفقد عزيمة "صابر" في مواصلة التحدي من أجل الحياة، حياة يرقب من ورائها العثور على "ابنه الضائع" إن الصبر على العذاب لم يكن تحت دافع مقاومة وطنية وسياسية بل كانت من أجل الوصول إلى ابنه الذي يرى فيه حياته وسعادته وانتماءه ، ويبدو السجن رغم كونه مكانا معاديا إلا أنه فضاء للحرية وللنصر أيضا وهذه سمة بارزة في الكتابة الفلسطينية وهذا "عائد إلى أن الشخصيات الروائية السجينة لا تحن كثيرا إلى الخروج من السجن " 10 وهو ما تبرزه الرواية " مكثت شهرا في السجن المركزي وأنا انتظر المحاكمة شهرا ممتعا و مميزا برفقه المناضلين الشرفاء" 11 وتواصل الرواية تأكيد ذلك "مر شهر دون أن أحس به"12

3 . مصحة المجانين:

من الفضاءات المعادية و التى تحدد المكان المسموح به للإنسان الداخل إليها وفق التقرير الطبي مهما كانت نسبة صحته وغاياته ، إن الجنون - كعارض دائم أو شبه دائم - يصيب الإنسان فيفقده اتزانه العقلي و النفسي وفقا للسلطة الدينية أو سلطة

المجتمع أو سلطة الدولة ، ما يجعل القدرات الذهنية و النفسية المنطقية في حالة اختفاء تام و التي تحيل بالإنسان إلى ما يسمى ب "المجنون" وفي الإجماع البشري غالبا ما عد الجنون احتجابا للعقل أو فساده. وقد ارتبط الجنون بقوى غيبية عامة "الجن" الذي يتلبس الإنسان فيفقده إدراكه الذهني و النفسي و عليه تسقط كل الواجبات الدينية و الاجتماعية و لا تلزمه أية عقوبة سماوية أو أرضية وفقا للتشريع الإسلامي ، وعدت الكنيسة – خاصة في القرون الوسطى – الجنون عقابا من الرب إذ تمنع كل مجنون من دخول بلاطها و يتم جمعهم و ترحيلهم في سفن إلى مناطق أخرى بعيدة أو ما سماها "ميشال فوكو" سفن الحمقى " أو يتم إطلاقهم في البرية ليهيموا على وجوههم ، إنه يحمل طابع الرذيلة غالبا" كانت التيمات الأدبية و الفلسفة و الأخلاقية للجنون من طبيعة أخرى لقد حددت القرون الوسطى للجنون موقعا ضمن الرذيلةّ " 13 .

يجتمع الجنون ومصحة المجانين على صابر الشخصية المحورية ليقضي ست سنوات بأكملها محكوما عليه بالجنون التام داخل مصحة للمجانين يخضع للعقاقير الطبية و لحقن التهدئة ، كأي مجنون فاقد لاتزانه العقلي و النفسي بأمر من سلطة الدولة ليصير"مجنونا حقيقيا" في نظر سلطة المجتمع ، واستثمر الروائي الجنون تيمة بارزة في الرواية لأنها تهدف إلى التعبير عن كل تجارب الإنسان و طبيعة وجوده مستغلة " الشخصية " باعتبارها من ركائز السرد البنائية و الفنية ، و تعرضها لجملة من الحوادث الضاغطة على إدراكاتها العقلية و النفسية التي إن زادت عن قدرة الإنسان و تحمله فإنها ستسبب اختلاطا ذهنيا و نفسيا " يمكن لهذا الأخير أن يختار الإلقاء بإحدى شخصياته الروائية إلى خضم أحداث و مواقف ذات تأثير سلبي و ضاغط على مستوياتها الإدراكية و النفسية و الوجدانية ، يجعلها كل ذلك أن تعيش صراعا داخليا ينتهي بها إلى ما سميناه بحالة جنونية مأساوية "14، التي يعيش صاحبها محاصرا داخل دائرة الألم " الموت والفقد" " انهارت أبراج ذهني تماما ، صرت أرى وجوها بلا عيون ، و أخرى بخمس عيون أو تسع عيون لا تشبه العيون و خصوم كثيرة ، أصرخ بلا صوت ، أركض بلا مسافة أضرب بلا يدين ثم أرى نفسي في مكان غير المكان "15، يغيب " صابر"تحت سلطة أعداء الحقيقة و أعداء الإنسان وتحت سلطة المكان "مصحة المجانين"، و بقسوة لا مبرر لها منطقيا ينفى ست سنوات كاملة خارج المكان و خارج الزمان ، إنه نوع من الإقصاء الغاية منه إسكات صوت الإنسان الذي لم ير نفسه مجنونا يقدر ما هو مفصول عن انتمائه المكاني والعاطفي " أنا لست مجنونا بل أعقل من أعقلكم ....لا أحد يحس بصابر إلا صابر ، أعيدوا لي صغيري ، أعيدوا لي دلال ،ليس الإخلاص جنونا ، ليس الحب جنونا ، ليس الوعي جنونا أخرجوني من هذا القبر أيها المجرمون "16.

II– الفضاء البديل

1 ـ محنة الوطن الضائع و المخيم:

عندما ضاع الوطن ضاع الاستقرار و الاتزان ، ففكرة العيش شريدا في المخيمات و المنافي لم تكن تخطر على بال، لكن بعد عام 1948 أصبحت علاقة الفلسطيني بالمكان علاقة ترقب فهو مهدد بالخروج منه في أية لحظة ليتحول الوطن فجأة إلى مكان آخر ، كما تبرز المخيمات بديلا للبيوت ، كيف يتحول الوطن فجأة إلى خيمة ؟ و كيف تغدو هذه الخيمة مع الوقت مكانا حميما و بديلا عن الوطن ؟ مفقدا بذلك و لو بنسبة شهوة المكان الأول و شهوة الحنين إليه ، يبرز المخيم في الرواية بديلا موضوعيا للوطن ، حيث يتمركز المخيم كتيمة بالغة الأهمية مسيطرا على كل الفضاءات المكانية المفتوحة والمخيم كموضوع من مواضيع الرواية لمست اهتمام الروائيين بشدة بعد" اتفاقية " أوسلو" التي سمحت بعودة اللاجئين الذين لم يعودوا وعدم العودة دليل آخر على ضياع المكان الأول و استقرار المخيم الذي أصبح البديل الحميم الذي يقف على حدود أزمة متبادلة مع ما ضاع من الوطن ، و أحيانا يتخذ مبدأ العزلة حفاظا على ما تبقى من الوطن البديل .

إن المخيم مرحلة من مراحل ما بعد الكولونيالية و حضوره في الخطاب الروائي متميز لأنه يسعى إلى التخلص من ثقافة التهميش و سيطرة آداب المركز ، التحرر من الرؤية الثقافية الفوقية باعتبار منتجوها منفيون و مطرودون دعائيا في الأغلب ، و التحرر كذلك من النزعة الاستيطانية الاستعمارية ، محاولة لمحاربة محاولة اللاستمرارية في الوجود ، الذي كان أساسه تزعزع في الهوية بسبب التغير الطارئ على الأرض و ما نجم عنه من تغير في المرجعيات . تتفق معظم دراسات النقاد و الباحثين في الأدب الفلسطيني على أن هذا الأخير لم تكن علاقته أبدا جيدة بالمنفى و المخيمات " ديار المنفى ديار لا مستأنسة أيضا تشير إلى مستوى دفين من مستويات الإقصاء و الانزياح التاريخي ، الأمر الذي يجعل من تيمة العودة هاجسا ملحا " 17 وعلى نحو مغاير يتشكل المخيم في "رواية الهروب " كحقيقة وجب تقبلها ، و كذلك وجب التخلي عن فكرة العودة إلى الوطن إلى أمر غير محدد ، إن اتفاقية " أوسلو" قد أكدها الروائي " سليم دبور" كما هي عارية من كل المجاملات و كرس عمله على " المخيم" هذا الفضاء البديل الذي وجب تقبله ثم محبته و الدفاع عنه ضد الحصارات و الاستفزازات الإسرائيلية المستمرة ، هذا هو شأن الرواية بعد أوسلو كانت حديثا عن اللاجئين الذين لم يعودوا ، فالاستقرار المر داخل المخيمات فرض فلسفة جديدة و تفكيرا يفرض التأقلم مع الوضع الجديد ، ففي رحلة بطل الرواية "صابر" رغم محطاته المكانية العديدة . التي سنتطرق إليها لاحقا . يستقر به المقام في المخيم" وصلت منزل أيوب ، أخبرته عن قراري بالعودة إلى المخيم ، لم يجادلني و لم يحاول منعي كما كان يفعل في السابق "18، يصر بطل الرواية بوعيه الكامل و بإرادة منه العودة إلى المخيم الذي نشأ فيه لقد صار كما المكان الأول " عدت إلى مسقط رأسي بمعنويات عالية "19 فالمخيم مسقط رأس " صابر" لكنه ليس وطنه فلماذا يشعر بالقوة " نعم أنا الآن قوي و لا شيء يستطيع أن يهزم إرادتي في البقاء "20، هل هو التماهي الفلسطيني في المخيم و الإدراك جيدا أنه الملاذ رغم هشاشته ؟ هل يتفوق المخيم على الوطن ليصبح واهبا للقوة و الرغبة في البقاء ؟ يبدو أن الأمر قد صار كذلك ، فلا داع لتخيل العودة إلى الوطن لأنها مستحيلة اليوم، لهذا يقرر " صابر " أن يتجاوز حدود الهوية المسيجة و التي تعتبر الوطن "فلسطين" ركيزة رئيسية فليس من الحكمة التمسك بعنصر مستحيل على حساب عناصر ممكنة أو انتماءات أخرى، إن الاعتزاز بالوطن اعتزاز مشروع و طبيعي فهو إرث من الأجداد و الأسلاف كما أن المخيم إرث من نوع آخر فرضه الآخر الذي اعتمد فكرة الزمن لتعزيز اعتقاد أن المخيم " وطن" لهذا تم انتشال الخيام ووضعت بدلا منها بيوت من الاسمنت و الحديد ، غير قابلة للاقتلاع ، هذا هو حال الجماعات الجريحة التي تم تفريغها قسريا من الاعتقاد الأكيد أن الوطن لا يستبدل بآخر دون أن تفقد دعامة من دعامات الانتماء ، لهذا يحل المخيم موضوعا خصبا في الرواية حيث يعمل الروائي على تحديد معالمه الزمانية و النفسية فهو مكان للفقراء و المطرودين و بلا رجعة يستمدون منه القوة .

الرغبة في البقاء جاءت بعد مسارات مكانية حافلة بالانتقالات بدءا من مصحة المجانين وصولا إلى القرية ثم الجبل والحواجز ....كلها فرضت قناعة العودة إلى المخيم والبقاء فيه ، لأنه المكان الوحيد المتبقي والقادر على منح الإحساس بالانتماء إلى مكان ثابت جغرافيا فقط فاقد لكل شيء ، إن شقاء الرحلة في الأمكنة تفرغ البطل من فكرة العودة إلى الوطن الأول ، لهذا يدرك أن القوة ستكون من " المخيم" وليس من الوطن الضائع وعليه التمسك به وهنا ينجح الآخر بمساعدة الزمن المأساوي في التأسيس لعقيدة التخلي عن مكونات الانتماء المستحيلة وإسقاط سياج الهوية الفلسطينية التي تتخذ من المكان مرجعية أساسية من مرجعياتها .

تجبر محنة الرحلة في الأمكنة والزمن المأساوي بطل الرواية على تقبل الواقع والاطمئنان إليه ، الذي يؤسس هو الآخر لعقيدة جديدة تبرز أن كينونة الفلسطيني المهاجر أو اللاجئ ستنبعث من المخيم "أصبح الأمر هكذا أكون أو لا أكون"21 إن تغير الزمان والمكان وكثرة التجارب المريرة تملي على الفلسطيني اللاجئ أن يعيد النظر في عديد الأشياء الرئيسية وأن يبعد عن

عينيه بارقة الأمل واللون أيضا، لابد من قبول الواقع كما هو ، فكل العناصر الداخلية والخارجية مسلطة ضد تفكيره . لقد تغير كل شيء وعلى المرء أن يبتعد عن أكاذيب الأحلام التي لن تتحقق وقبول الواقع لأنه أقوى بكثير لهذا يتحرر صابر من كل شيء ويقرر بدء حياته من جديد مستقرا بالمخيم الذي كان نقطة مكانية ثابتة يعتمدها في انطلاقاته اليومية ويرتد إليها دائما ليقطع بذلك أزمة الترحال وليصير المخيم وطنا "محتملا ".

تفرض نضج المعاناة الإقرار بالواقع ، لهذا تتخلى الرواية بعد "أوسلو" كما رواية "الهروب" عن الوطن والاهتمام " بالوطن المحتمل "أو "الوطن البديل "ويسهب الروائي في الإفصاح عن هذا المعتقد الذي يبدو حقيقة وجب الاعتراف بها من دون الدخول في مساءلة حول الخيانة الوطنية والاستسلام لأنه يعري الواقع تماما، فاضحا السلطة المحلية والعربية ، يفضح السرد الروائي السلطة عن طريق الشخصية الرئيسية "صابر" الذي مثل المثقف المؤمن بالمثل الوطنية والتي لم يحصد منها إلا الهزائم بدءا من هزيمة الحاجز "رأيت أحد المارة يسير خلفي ، أوقفته وسألته عن سبب وجود تلك النقطة العسكرية ،أجاب باستهزاء ليعرف أمثالك أن حدود السلام تنتهي هنا الآن أنت تحت سيطرة الصهاينة ،جهز نفسك للإهانة أو للضرب أو غير اتجاه سيرك لتحفظ ماء وجهك "22 وصولا إلى هزيمة الفقر والجوع "ولم يكن أمامنا إلا السرقة ...التهمنا ما سرقناه دون تنظيفه من المواد السامة "23 وهي هزائم رصد لها السرد مشاهد مسردية كثيرة مثلت في مجموعها صورة العجز الشامل المنتشر فوق المكان المحاصر والمهمش مركزيا "القرية والمخيم "والذي يتمثل على وجوه الأهالي الذين يبدون بشرا لاضرورة لهم في الغالب لأن لا دولة لهم توفر حقوقهم لتنتشر البطالة المقيتة التي مرغت كرامة الإنسان كما يخبر بذلك صابر " قررت الذهاب إلى المدينة مرة أخرى للبحث عن عمل أي عمل ، بدت الفرصة مواتية لإعلان الحرب على جبروت البطالة ، فبيني وبينها ثأر طويل ، طويل جدا أردت أن أتحين الفرصة للانتقام منها ، وتصفية الحساب معها فقد أدمتني في عدوانها الأخير الذي استهدف كرامتي "24 لكن صابر لم ينجح في الحصول على وظيفة بسبب المحاباة التي كانت تمنع توظيفه في كل مرة رغم شهادته الجامعية ثم إنه بعد رحلة من الانتظارات والوعود الكاذبة لتوظيفه يعلن تأييده لصديقه" أيوب "الذي كان كافرا بالسلطة الوطنية وبالمبادئ الثورية والقيم الكونية "نعم يا أبي كفرت بهم ، بكل المبادئ التي حملتها أيام الثورة "25 . لقد تم تفريغ الإنسان الفلسطيني اللاجئ من قناعته ومبادئه وملئه بشحنات عالية من الجدل والتشكيك بالشرعيات الوطنية والاجتماعية "بعد اتفاق أوسلو عام (1991) أعلنت الاتفاقية التي كانت حبرا على ورق ولا تزال عن أمرين تداعي الحلم الفلسطيني الذي وعد بتحرير الأرض وانتهى إلى سجون متجاورة فوق الأرض الفلسطينية ، وتداعي القيم الأخلاقية والمعنوية داخل المؤسسة المسؤولة عن تحرير فلسطين "26 .

2ـ البيت:

مثل البيت في سرديات المنفى غالبا الانتماء و الحنين و الوطن الضائع " لعل أول ما يطرأ على الذهن حين نفكر في المنفى من منظور علاقة المكان بالألفة و الانتماء و الهوية هو "البيت" لا بوصفه مكانا للعيش أو المأوى فحسب بل من حيث هو تمثيل دال و متعين لمفهوم الوطن أيضا"27 ، و قد تربع البيت على ذاكرة المنفيين طويلا "و لا أزال إلى هذا اليوم أشعر أني بعيد عن البيت مهما بدا الأمر مضحكا "28. سيطر الحديث عن البيت في " الهروب " على وعي الروائي بشدة كما أن خصوصية المكان المغلق " البيت" يمنح الروائي إمكانيات أكبر للعناية بعناصر هذا الفضاء ، و لهذا يتوزع حضور البيت على النسيج الروائي بدءا من البيت المقدسي الضائع الذي احتله الآخر " ظل واقفا أمام عتبة منزلنا المغتصب يلاحقني ببصره حتى ابتعدت عنه مسافة أشعرتني بالأمان و الحقد معا"29.

لم يحشد الروائي الوصف مع البيت الضائع بل اعتمد السرد ، فضياعه كفيل بأن تغيب عنه كل التفاصيل و كل الألوان ما يمنح لتيمة الفقد بروزا إيحائيا يتماشى و التغييرات الطارئة على المكان ثم يغير الروائي من السرد إلى الوصف باستخدام صور ملونة مع بيت مقدسي آخر ما زال ينعم به أهله "وصلت منزلا قديما مزينا بابه بأغصان شجر النخيل و الأضواء الملونة ، عليه يافطة بيضاء اللون مكتوب عليها باللون الأحمر أهلا و سهلا بحجاج بيت الله الحرام "30.

لماذا ابتدأ الروائي حديثه عن البيت بهذه الثنائية المتفقة و المتضادة في آن؟ إن البيت المقدسي يضل حاضرا و غائبا ملونا و بلا لون ، يتأرجح بين مرحلة الغياب و الحضور ، من المؤكد أن الأصل في الأشياء أنها موجودة و لها إطار فيزيائي يتمثل في الحيز الذي تشمله و الخصائص التي تتميز بها وعندما تبدأ هذه الموجودات بالغياب و الظهور فمن المؤكد أنها بدأت مرحلة " التلاشي" ، هل دخل البيت المقدسي مرحلة التلاشي حقا ؟ أم أن الروائي نجح عن طريق الوصف من إنقاذ ولو مسرديا بيتا من البيوت ، فالحياة التي تحيط بالبيت التي قدمها لنا الوصف تحمل دلالة أن مرحلة التلاشي يمكن لها أن تنقلب إلى ظهور و تجدد ، و قد يتغلب الحضور على الغياب ، كما يتغلب البيت الذي لا وصف له على التلاشي ، كما تبرز فكرة الوجود الثابت الدائم الذي ينافي " الفقد" و لعل كلمة "منزلنا" التي وظفت قد أغنت عن كل وصف لأن المنزل أو البيت متجذر داخل الذاكرة و هذا ما ذهب إليه غاستون باشلار في كتابه "جماليات المكان" "إن سمات المأوى تبلغ حدا من البساطة و من التجذر العميق في اللاوعي يجعلها تستعاد بمجرد ذكرها ،أكثر مما تستعاد من خلال الوصف الدقيق لها"31 .

بعد رحلة الفرار يقرر" صابر" أخيرا "العودة" إلى البيت الذي يقع ضمن المخيم ، هاجس العودة يلح عليه رغم قساوة المكان و جمال الذكريات و فضاعتها أيضا ، إلا أن الوجود المأساوي يجعله يتساءل " هل لازال بيتي موجودا " 32 ثم يعود به الوهم مجددا للحديث مع والده المتوفى هل هي عودة إلى الماضي أم أن الأموات يعودون" لا أخفيك سرا أن التردد وقف عثرة في طريقي، خفت من فكرة دخوله بعد كل الذي أصابني "33 كان صابر قد فقد زوجته في هذا البيت و ابنه أيضا ثم اقتيد إلى مصحة للمجانين كل هذه الحوادث كانت بهذا البيت الذي يبدو غير منطقي و غير طبيعي أيضا كأن البيت تغير فهو لا يشبه" البيوت التي تحدثنا عنها في بداية هذا العنصر . و يتتبع السرد صورة البيت الذي يقع ضمن المخيم على مراحل متباينة و بطريقة شكلت حقلا مكانيا و زمانيا ، فلا يمكن الفصل بين المكان و الزمان ، فما المكان إلا صورة للزمن الذي يتأرجح بين المأساة و شيء من الفرح الواهي.

كما أسلفنا يقدم الروائي بيت المخيم على أنه مختلف عن بيوت الأوطان فهو مخيف فالأحداث تؤثر على المكان لتتحول مع مرور الوقت إلى ذكريات أليمة ، إن البيت بريء من أن يكون مخيفا بل إن النفس المصدومة تخاف من الذكريات التي تتداعى كلما اقتربت من تضاريس المكان ، وحين تغيب الخيارات و البدائل وجب تقبل الوضع و محاولة تبديد الوحشة التي به. كيف يعمد السرد على تبديد الوحشة و تحويل البيت إلى وطن متجدد؟ أولا يقحم الروائي "صابر" الفضاء المغلق من أجل المواجهة مواجهة تعاسته التي كان أساسها الموت"موت زوجته دلال" و الفقد" فقد ابنه" "وجدته كما هو لم يتغير ، دلفت عتبته و عواصف الذكريات الجميلة و اللئيمة تعصف و تفتك بعقلي و قلبي هيئ لي صوت دلال يحاكيني ، هيئ لي أرواح أحبتي لازالت تسكنه ، كل بقعة فيه شهدت أياما حلوة قتلتها يد الغدر "34 يتجلى البيت مرآة عاكسة لما عاشه "صابر" من تجارب التي تحضره اليوم ذكريات الأليمة ، إن هذا البيت بما يعكسه من أشجان لم يعد يحتفظ" بقوة " البيت" التي تمنع الإنسان من التفتت" فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا ، إنه البيت يحفظه عبر عواصف السماء و أهوال الأرض"35 ترابط قوي يجمع

البيت بـ"صابر " يتجسد من خلال التأثر العميق بينهما نتيجة الأحداث المأساوية حيث يبدو البيت هو الآخر أشبه بشخصية من شخوص الرواية البائسين ، لا تفاصيل ، لا ألوان تلونه لم يعد وصفا هندسيا "إنما صار فضاء حيويا يمارس سلطته و حضوره تماما كما تفعل الشخصية "36 .

يركز السرد على الذكريات أكثر من وصف تفاصيل البيت ، عادة تكون غاية الوصف من ذكر التفاصيل الصغيرة و الكبيرة الخاصة بالأشياء إيهام المتلقي بحقيقة " البيت" المتخيل لماذا لم يوظف الوصف هنا تفاصيل البيت بل تدخل السرد ليقحم الذكريات و الأحداث معا؟ هل هي إشارة إلى " وهمية البيت وهشاشته" رغم ما يقدمه كمصدر للقوة ؟ أم أن البيت أساسا فقد عناصره " الأهل" التي تجعل منه بيتا؟ ، هل تغييب الوصف إلا لمما هو تأكيد لغياب الانتماء إلى المكان و تأكيد على انتماء " صابر" الإنسان اللاجئ إلى لا شيء سوى لتلك الذكريات التي تضغط بقوة على حاضره ليستمر تواصل الوجود المأساوي الممتد من الماضي وصولا إلى الحاضر البائس الذي يدعم بؤسه بكم هائل من الذكريات الرهيبة ؟ لعل قرار "صابر" الخروج من البيت الذي فقد قيمته الروحية و النفسية و العاطفية إجابة عن هذه الأسئلة " أغلقت نوافذ المنزل و أوصدت الباب و انطلقنا سويا هائمين على وجوهنا نمشي غير مكترثين بالمسافات التي سنقطعها" 37 .

3 ـ محنة الرحلة في المكان الواحد :

سيطر موضوع التنقل هاجسا نفسيا مهما في حياة " صابرً الذي يعتبره تحررا من مأساة و بحثا عن مكان ما" رحلت و همي الأكبر الوصول إلى مكان لا يعرفني فيه أحد، فيعكر صفو حياتي أو يغيظني بما لا أطيق ، كما أن الرحيل هو الحل الأمثل لبداية جديدة ، لا يهم إن كانت بداية موفقة أو محفوفة بالفشل ، أردت الابتعاد قدر المستطاع عن عيون أولائك الجزارين الابتعاد عن القيد و الصدمات الكهربائية فالموت أفضل من العودة إلى ذلك المكان الرهيب"38، لم يكن مهما أبدا عند "صابر " كيف ستكون نهاية رحلة الأماكن فهمه كان الهروب من المكان المعادي " مصحة المجانين " الذي كان أول الأمكنة التي ابتدأت بها الرواية ، مكان غريب قاس و صادم يبعث على الذاكرة صورا أشد خوفا من الموت ، الهروب بداية لاستقرار يبحث عنه "صابر" بعيدا عن المكان المعادي و الإنسان المعادي اللذين يتحدان من أجل تغييب " صابر" عن الزمان و المكان ست سنوات كاملة ، لقد عمقت " مصحة المجانين" إحساس "صابر" بالتناقض و الرعب . التفكك ، الغربة و كراهية الإنسان ويفرض في المقابل غواية التيه التي تبدأ من الإحساس بالغربة المكانية داخل البيت بسبب تعاسة الذكريات . لقد صاغ الروائي أماكن التيه وفق رؤية اتخذت صورا درامية في الغالب ، متجاوزا المسافة الجغرافية للمكان إلى اعتباره تشكيلا نفسيا يحمل معه حوادث فضيعة ليضيق المكان ضمن إطار التعاسة ، إنه يحمل صورة مباشرة للمأساة ، مأساة الروح و مأساة الجسد أو كليهما معا إلى غاية وصوله و استقراره بالبيت و تشكل رحلة صابر محطات مكانية كثيرة نوضحها فيما يأتي :

مصحة المجانين ــــ البيت المقدسي الضائع ــــ البيت المقدسي المتبقي ــــ المخيم ــــ البيت ــــ المغارة ــــ منطقة جبلية ــــ القرية ــــ المخيم (البيت) ــــ السجن ــــ مدينة إسرائيلية ــــ المخيم (البيت) .

وكل محطة مكانية كما أسلفنا الذكر رافقتها المأساة :

– مصحة المجانين : مكان للحجز و الصعق الكهربائي و الأدوية المسكنة المغيبة للوعي .

– البيت المقدسي الضائع : يحتله اليهودي (الآخر).

– البيت المقدسي المتبقي : يلقي على الذاكرة إحساسا بالغربة الشديدة لأنه يعبر عن ما تبقى من الوطن الذي يذكر في المقابل بما ضاع من لوطن .

– المخيم : بديل الوطن كيف يصير الوطن خيمة ؟

- البيت : ذكريات الموت و الفقد .
- المغارة : آلام الجسد و الفقد الأبدي (قطع الرجل).
- منطقة جبلية : تفرض ضرورة التيه من جديد .
- القرية : تجعل من "صابر" و " جرعوش" مخلوقات غريبة يطاردها الأطفال بالحجارة و يسخر منها الناس .
- العودة إلى المخيم .
- السجن : أكبر الفضاءات معاداة للإنسان .
- مدينة إسرائيلية : غربة المكان الأول .
- المخيم : الذي استقربه المقام مع تحقيق شيء من السعادة التي وجب تحقيقها.

إن مرافقة المأساة لكل محطة مكانية وجب المرور بها تجعل منها " المطهر" فرحلة " صابر " عبر الأمكنة كان بمثابة التطهر من كل ما يحجب ذاته و يبعدها عن وعيها التاريخي ، فارتحاله من مكان إلى آخر كان استرجاعا للذات " الذات التاريخية " مما يجعله كائنا تاريخيا واعيا يدعوه لأن يكون هو ذاته متخلصا من وعيه القديم ، رافضا بذلك أن تثبت هويته ضمن دائرة التهميش ، التغييب و الإقصاء ، كما أن تحقق الوعي التاريخي يؤكد تجاوز مرحلة خارج التاريخ التي قضاها ضمن المكان المعادي الذي فقد فيه لحظته و زمانه و اختياراته العاطفية و الذهنية .

كما تكون رحلة "صابر" تفسيرا لفلسفة أن الاستقرار بالمكان المثقل بالتعاسة قيد و تقليص لسلطة الإنسان ، فالبيت يفرض سلطته على " صابر " لهذا يختار الهروب منه تخلصا من قساوته ، يحاول الخلاص منه على طريقة الصوفيين الذين يرون في التنقل تحررا من سلطة الأشياء ، والأمر نفسه ينطبق على كل الأمكنة المعادية التي مر بها "صابر" ليستقر به المقام أخيرا في البيت الذي كان نقطة انطلاق رحلته ، فلماذا يعود إليه ؟ هل هو غاية صابر ؟ هل يمثل حقا المكان المفقود " البديل " أم هو اعتراف من الفلسطيني اللاجئ و المهجر بأنه لا مفر من قبول حياة المخيم ؟ هل تحقق أخيرا ما أراده الآخر من تعديل معادلة الانتماء الفلسطيني و إسقاط مكون الأرض الفلسطينية من المعادلة ؟ وفقا للنص الروائي يبدو أن الأمر قد تحقق فتقبل الواقع أصبح ضرورة لأنه يحفظ الإنسان من التشرد في الأماكن ظنا منه أنه سيصل إلى الخلاص الذي لم يتحقق مطلقا ، لقد صار المخيم وطنا و تؤكد جملة التنقلات في الأمكنة العديدة أن العودة إلى " الوطن البديل" ليست خضوعا لسلطته ، و إنما إقرار بأحقية الواقع على الحلم ، فالواقع الذي مكن من طرد الفلسطيني من بيته استدرجه إلى المتاهة أو التنقل في الأمكنة التي تحيل إلى قيمة التخلي عن الأشياء و ألا رابط يجمع الإنسان بالمكان بل هو محطة مؤقتة يحاول من خلالها العثور على اتزانه النفسي و الجغرافي الذي لم يجده ، لقد طردت الأماكن " صابر " " لترغمه على العودة إلى المكان البديل "البيت" الذي أصبح بيتا خاضعا لسلطة الإنسان الجديد(صابر ، ابنه، زوجته الجديدة ، صديقه ، زوجة صديقه ، جرعوش" أم الزوجة) لقد منح الإنسان الذي تطهر من ذاته التي كانت خارج التاريخ البيت صفته الأولى و منعه من التفتت مؤقتا .

كما أظهرت محنة الرحلة في المكان الواحد جانبا كبيرا من حال الشعور بالمرارة و الكراهية و الإحباط النفسي و التعب الجسدي الذي رافق شخوص الرواية ، الذين كانوا أشبه بالمشردين الأبطال، كاشف جانبا من بناء السرد الذي يعتمد " التشرد المتعالي" بعيدا عن الأبطال الخارقين الأسطوريين ، حيث لم يبالغ الروائي في شيء بل تعامل مع شخوص الرواية وفق الواقع البئيس كما هو لا توجد عبقرية السلالة التي تنجب أبطالا خارقين، كما تختصر تيمة " الانتماء " في عنصر استرجاع الإنسان

لهويته التاريخية بمحاولة استرجاع الذات وحملها على عيش لحظاتها و زمنها و كأن " رواية ما بعد أوسلو" قد اختصرت الانتماء في انتماء الإنسان إلى ذاته التاريخية التي تفرض ضرورة النضال من أجل استرجاعها كما فعل "صابر" في تنقلاته "المطهر".

خاتمة :

1 . تكشف رواية " الهروب " الفرق الشاسع بين المتخيل الروائي و الواقع قبل اتفاقية أوسلو و بعدها ، مما جعل الروائي يعيد النظر في رؤيته للأشياء من موقع مواجهة الذات و الواقع و السلطة أيضا حيث يبدو جليا ظهور خط جديد للرواية الفلسطينية يمثل وعيا جديدا لإبداعات جديدة ، مأزومة توافق تماما الواقع المتأزم "ما بعد أوسلو" ، حيث لم تعد الأشياء جميلة كما السابق و لعل رواية الهروب قد كشفت جوانب عديدة من الوجود الفلسطيني النفسي ، الجغرافي و الإنساني .

2 . شكل المكان فضاء متعالقا مع الجنون و الخيبة و الفقد ، ليتحول إلى فضاء معاد في أغلب الأحيان خال من أي تعاطف لأنه ينسف لحظة اللقاء مع ما ضاع من الوطن إنه نقطة المساس بين الضائع و المتبقي منه .

3 . حقق فضاء السجن ومصحة المجانين تواطؤا صارما على الفلسطيني في محاولة تغييبه تحت التعذيب الجسدي ، النفسي والعقلي .

4 . يفقد الوطن الضائع " فلسطين" حميميته فلا يأتي النص الروائي على ذكراه بالصورة المعتادة بل ركز على "الوطن البديل " أو" الوطن المحتمل "الذي برز جليا ضمن فضاء " المخيم " الذي يفرض جملة من المعطيات كضرورة تقبله و محبته و اعتباره وطنا لاستحالة استرجاع المكان الأول في الوقت الراهن و لأزمنة مديدة ، وهو لوحده ليس مدعاة لأي حميمية بل يرتكز على عناصر مرجعية رئيسة في حياة اللاجئ والتي يكسب منها المخيم حميميته (البيت ، العائلة، و الأصدقاء)، إنه لا يمكن الحصول على البيت إلا ضمن فضاء مكاني آخر " المخيم " و لا يمكن الحصول على العائلة إلى ضمن فضاء مكاني آخر " البيت" الأساس الأول للارتباط الجغرافي و العائلي و النفسي رغم قساوة العيش فاللاجئون جماعات جريحة " ألقيت خارج أوطانها ، أو نقلت أو سيقت إلى أراض مسدودة المسالك في مناطق أخرى "39 ، فاقدة طريقتها الملائمة للحياة ، حياة باتت أيامها مؤقتة على ساعات انقطاع الكهرباء " في المساء قطع الجيش التيار الكهربائي مرة أخرى " 40

5 . إن طرح المخيم كبديل مؤقت أو شبه دائم إن لم نقل إنه دائم هو ترشيحه إلى مقام الوطن البديل.

6 . يبرز البيت – بديل الخيمة و بديلا عن البيت الأول ـ فضاء نفسيا أكثر منه حيزا مكانيا بسبب كم الذكريات المسلطة وبحجم العلاقات الإنسانية التي تشكلت مجددا تحت مسمى " العائلة " و التي اختزلت أقصى معاني الانتماء – بعد أوسلو – إلى الحد الأدنى ضمن إطار – العائلة – التي تتكون ضمن البيت كحيز جغرافي و هندسي ما يفسر انتصار عقيدة " الهدم" التي أرادها الآخر والتي سعت إلى تفريغ هذه الجماعات الجريحة من الإحساس بأي انتماء آخر خارج هذا الإطار ليغيب " الوطن الأول " كعنصر أساسي من عناصر الانتماء بعدما ضاع ضياعا شبه تام و أصبح حلم العودة إليه أشبه بالمستحيل و عليه" يتنازل الوطن عن معاني الألفة و الحميمية و الاحتواء و الدفء و يصبح في ظل وجود " آخر" مستعمر و متربص باعثا لمعاني الاغتراب و الحصار و الطرد"41.

7 . كما حققت محنة الرحلة في المكان الواحد انتماء الإنسان الفلسطيني التاريخي والتي أكدت انتهاء مرحلة خارج التاريخ و عودة الوعي الفلسطيني إلى حقيقته بعيدا عن إدعاء البطولات التي لا تتحقق و عليه يتلخص " الانتماء الفلسطيني بعد أوسلو ضمن العائلة و الواقع بعيدا عن مزايدات الرومانسية وهذا ما نلمسه في جوانب الرواية فعلى مستوى الشخصيات اختار الروائي أبطاله من هوامش المجتمع في الغالب " صابر " و جرعوش " نماذج إنسانية تعيسة تكشف غنى ذاتها و تناقضها معها و مع

الآخرين كما لم يورط الروائي مطلقا عبقرية السلالة النقية التي تنجب أبطالا خارقين ، فالواقع يفرض منطقه فلا داع للهروب وراء بطولات كاذبة سياسيا أو اجتماعيا .

8 . كما يبرز الفضاء المكاني مبنيا على ثلاثية قائمة على عاملين متفقين مكانا مختلفين زمنا :

المكان الأول (الزمن الماضي) **:**حقيقي ومقدس ،غريب ومتخيل .

المكان المعادي (الزمن الحاضر والمستقبل) : غير مستأنس ، غريب ، مفرغ من العواطف ومن التاريخ، مصحة المجانين البيت المقدسي الضائع ، الحاجز ، السجن .

المكان البديل (زمن الحاضر والمستقبل)**:** المخيم ، البيت .

8 . عبرت رواية " الهروب " عن قضية إيديولوجية تحمل إجابات عن كل الأسئلة التي لم يكن لها جوابا أو التي غيبت عمدا بسبب التحايل على الذات و إيهامها ببطولتها الكاذبة ، كما كشفت الرواية الظروف الغريبة التي طرأت على الواقع الفلسطيني و التي كانت مخيبة للآمال مثل ذلك الصراع الدائم بين الفلسطيني و الآخر، بين الفلسطيني و السلطة المحلية ، كما عبرت بشدة عن اللاجئ و عالم المخيمات الثابتة ، جيل المخيمات الجديد الذي فهم الواقع جيدا بعيدا عن كل الزيف السياسي و الوطني القومي و العالمي، لقد أدرك الروائي حقيقة " أوسلو " كما أدرك جيدا حدود انتمائه الفعلية .

الهوامش:

1. أمين معلوف ،الهوايات القاتلة ،ترجمة نهلة بيضون،الطبعة الأولى 2004 الطبعة الثانية 2015 دار الفرابي بيروت لبنان، ص91.

2 . إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى، ترجمة ثائر ديب ،الطبعة الأولى باللغة العربية 2004' ، الطبعة الثانية 2007، دار الآداب ، بيروت ، ص121

3 . يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999 ص 242.

4 . عبير غسان القتال، رحيل بإتجاه العودة ،ذاكرة الشتات والداخل الفلسطيني، سلسلة الدراسات (3)، 2014 منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق.ص 61 .

5 . مليكة سعدي ، الآخر في الرواية الفلسطينية ، مجلة عود اللد، العدد 95.

6 . سليم دبور ، الهروب ، دار الجندي ، القدس 2016 ،ص204.

7 . المصدر السابق ص284 .

8 . المصدر نفسه ص325

9 . نفسه ص 190

10 . نعمة خالد ، الفضاء الفلسطيني هوية الذات ، أسئلة في هوية الخطاب السردي ، ص51

11 . سليم دبور ، المصدر السابق ص196 .

12 المصدر نفسه ص 197 .

13 . ميشيل فوكو ،تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، ترجمة سعيد بن كراد، الطبعة الأولى 2006، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ص 44.

14 . محمد بقوح ، توظيف الجنون في الكتابة الروائية ، أنفاس نت ، 18 تشرين ، 1أكتوبر 2007 على موقع www.anfasse.com

15 . سليم دبور ، المصدر السابق ، ص2.

16 . االمصدر السابق ،ص 9.

17 . محمد الشحات ، سرديات المنفى ، الرواية العربية بعد عام 1967، الطبعة الأولى2006، عمان ، الأردن ،ص 25.

18 . سليم دبور، المصدر السابق، ص174.

19 . المصدر السابق،ص 174

20 . المصدر نفسه ، ص 179.

21 . نفسه 179 .

22 . نفسه ص68 .

23 . نفسه ،ص37 .

24 . نفسه ص 95

25 . نفسه ص 112 .

26 . محمد الشحات، المرجع السابق ،ص 12 .

27 . محمد الشحات ،المرجع السابق ، ص 110.

28 . إدوارد سعيد ،خارج المكان، مذكرات ، ترجمة فواز طرابلسي، الطبعة الأولى 2000 دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ص276 .

29 . سليم دبور ، المصدر السابق ، ص 19.

30 . المصدر السابق ،ص 19.

31 . غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا، الطبعة الثانية ، 1984 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت لبنان، السابق ، ص42.

32 . المصدر السابق، ص 32.

33 . نفسه ص 37 .

34 . المصدر السابق،ص 33.

35 . غاستون باشلار ، المرجع السابق ،ص 38.

36 . بوحفص بوجمعة ، علاقة الأنا بالآخر في التشكلات المكانية في رواية عمر يظهر في القدس ل نجيب الكيلاني، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات ، ص 12.

37 . سليم دبور ، المصدر السابق ، ص 36.

38 . المصدر نفسه ، ص 36.

39 . إدوارد سعيد ، تأملات حول المنفى ، ص 120.

40 . سليم دبور ، المرجع السابق ص 337.

41 . محمد الشحات ، المرجع السابق ، ص 117.